

في نور محمد فاطمة الزهراء

يتزوّد منها بنظرة وداع، واعتصر الألم صدره، ودمعت عيناه، وبكت من حوله الهاشميات، ونساء الأنصار اللاّتي اجتمعن آسيات. وكان عمر في الحاضرين ... فلعلّه حينذاك خشي أن يزيد ندب النسوة في تفتّر قلب نبي الله، فصرخ فيهنّ يزرهنّ زجراً عنيفاً ليقلّعن عن التفجّع والنشيج. لكنّ الرسول ردّه عنهنّ برفق، وهو يقول: «مهما يكن من العين والقلب فمن الله والرحمة، ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان» [927]. فكفّ عمر وفاضت الأدمع عسى أن تطفئ حرف الشجن ولواعج الفراق. * * * وطلّبت الشمس تغيب لتبزع، وتبزع لتغيب، وطلّ كوكب الأرض يدور في فلكه ويدور، وطلّ موكب الزمن يسير ... فلا حركة الحياة تبطئ أو تتوقّف لموت إنسان، ولا هي تنشط ويستخفّها السير لمولد إنسان. ويوم فقد النبي ولده «إبراهيم» بعد يوم الفرقان ببضع سنين، وانطفأت بموته البسمة الحلوة التي كانت ترفّ على ثغر الزمان، وغيبّ الثرى [928] وجه الصغير الذي كان أنساً وسلوىً لأبيه، كما غيبّ قبله وجوه إخوته وأخواته أجمعين إلاّ الزهراء، يومذاك تبدّت آية من آيات الله كاد يفتن بها الناس. فلقد وافق موت «إبراهيم» كسوف الشمس واختناق ضوئها عن الوجود، فإذا فريق من المسلمين يحسبون كسوفها صورة لحزن نبيّهم على فقيدته الحبيب انعكس على صفحة السماء، وإذا هم يردّون عندئذ: انكسفت الشمس لموت «إبراهيم»! ورقاً [929] محمد بعض دمه، وغالب شجوه على فتاه، ثم وقف في أصحابه يقول: «إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا